

جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة

45 - مقام رجل من الزهاد بين يدي المنصور .

بينما المنصور يطوف ليلا إذ سمع قائلا يقول اللهم إني أشكو إليك ظهور البغى والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع فخرج المنصور فجلس ناحية من المسجد وأرسل إلى الرجل يدعوه فصلى الرجل ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه بالخلافة فقال المنصور ما الذي سمعتك تذكر من ظهور البغى والفساد في الأرض وما الذي يحول بين الحق وأهله من الطمع فوالله لقد حشوت مسامعي ما أرمضني قال يا أمير المؤمنين إن أمنتني على نفسي أنبأتك بالأمور من أصولها وإلا احتجرت منك واقتصرت على نفسي ففيها لي شاغل فقال أنت امن على نفسك فقل فقال يا أمير المؤمنين إن الذي دخله الطمع حتى حال بينه ما بين ظهر من البغى والفساد لأنك قال ويحك وكيف يدخلني الطمع والصفراء بوالبيضاء في قبضتي والحلو والحامض عندي قال وهل دخل أحدا من الطمع ما دخلك إن الله تبارك وتعالى استرعاك المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والاجر وأبوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجت نفسك فيها عنهم وبعثت عمالك في جباية الأموال وجمعها وقويتهم بالرجال والسلاح والكراع وأمرت ألا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان نفر سميتهم ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العارى ولا الضعيف الفقير ولا أحد إلا وله في هذا المال حق فلما رآك هؤلاء نفر الذين استخلصتهم لنفسك واثرتهم على رعيته وأمرت ألا يحجبوا عنك تجبى الأموال وتجمعها ولا تقسمها قالوا هذا